خطبة بريكليس الجنائزية

محمد حمدي إبراهيم

مقدمة :

يدور الكتاب الثاني من تاريخ ثوكيديديس حول الهجوم الليلي الذي شنه الطيبيون على بلاتيا ، وحول أول غزوة قام بها تحالف دويلات البيلوبونيس ضدَّ إقليم أتيكا ، والإجراءات الدفاعية والهجومية التي اتخذها بريكليس إزاء ذلك . يلي هذا سرد للخطبة الجنائزية λόγος ἐπιτάφιος لبريكليس ، وهي الخطبة التي يرثي فيها شهداء العام الأول من الحروب البيلوبونيسية وهو عام ٤٣١ ق . م . ، وهي الحرب الضروس التي دامت حتى عام ٤٠٤ ق . م ، بعدها نجد وصفاً للطاعون الذي استشرى في أثينا وأنهك قوتها ثم شرحاً لسياسة بريكليس ووصفاً لحصار بلاتيا والانتصارات التي حققها فورميو زميل بريكليس وغير ذلك من الأحداث التاريخية . ولقد دارت كل هذه الأحداث التي احتواها الكتاب الثاني خلال سنوات ثلاث فقط من الحروب البيلوبونيسية (أي من عام ٤٣١ – ٤٢٩ ق . م .) .

ولقد بدأ الصراع بين أثينا واسبرطة منذُ أيام ثيموستكليس الذي دأبَ على انتهاج سياسة معادية لإسبرطة ، ومن بعده حاولَ كل من أرستيديس وكيمون اتباع

سياسة ترمي إلى مهادنة اسبرطة وتجنب الحرب معها ، إلا أنَّ هذا الاتجاه قوبل بفتور من قبل اسبرطة مما خلق نوعاً من الاستياء والسخط ضدّها في مدينة أثينا .

ولقد أدى هذا الوضع المتوتر إلى عقد حلف بين أثينا وأرجوس عام ٤٦١ ق . م . وبعد ذلك بسنوات بدأ نجم بريكليس يسطع في سماء السياسة الأثينية ، عندما بدأ نشاطه باتباع سياسة استراتيجية دفاعية هدفها الوقاية من الغزو الإسبرطي . وبمقتضى هذه السياسة الدفاعية كان على أثينا أن تتجنب الاشتباك في حرب برية مع اسبرطة قدر الإمكان ، وأن يترك سهل أتيكا أمام الغزاة كمنطقة واقية يتم فيها استيعاب الغزوات التي تشنها اسبرطة على أثينا ؛ في الوقت الذي كان الاستعداد فيه يجري على قدم وساق لتطوير الأسطول الأثيني وتدعيمه كي يتمكن الجيش الأثيني عن طريقه من مباغتة العدو في عقر داره ، عن طريق إنزال القوات المحمولة بحراً إلى سواحله .

وكان بريكليس يأمل أن تؤدي هذه الإجراءات إلى إضعاف اسبرطة وإنهاك قوتها ، ويأمل في الوقت نفسه أن تتمكن أثينا من تعويض خسارتها المتمثلة في إتلاف محاصيلها بسبب الغزو المستمر أو الحصار ، بحيث تضطر إسبرطة في نهاية الأمر – وأمام الصمود الأثيني – للتخلي عن سياستها العدوانية ، ومن ثم تسعى لنبذ الحرب . ولا جدال أن مثل هذه الخطة بطيئة المفعول كما أنها تستغرق وقتاً ليس بالقصير من أجل تنفيذها ، لكنها قد تصبح ناجعة على المدى البعيد ، وإن كان ذلك رهناً بقدرة أثينا الدفاعية وتمكنها من التحمل والصمود . وبحلول عام ٤٣١ ق . م . استطاعت أثينا أن ترسل للحرب أسطولين : أولهما قوامه مائة سفينة تحت قيادة كاركينوس تم تعزيزها فيما بعد بخمسين سفينة من جزيرة كوركيرا ، والثاني مكون من ثلاثين سفينة تحت إمرة كليوبومبوس . وتمكن هذان الأسطولان من تخريب سواحل العدو ونهبها ، ومن احتلال عدد من مراكزه الساحلية وقهر القوات الدفاعية المتمركزة هناك . غير أنَّ الأثينيين تجنبوا الدخول مع العدو في معارك ذات قوات كبيرة العدد ، وبفضل هذه الخطة

الاستراتيجية تمكنت القوات الأثينية من الاستيلاء على كيفالانيا بغير أن تخوض حرباً تستحق الذكر .

بعد هذه الحملة البحرية الناجحة ألقى بريكليس خطبته الجنائزية المشهورة التي رثى فيها شهداء هذا العام من الحرب البيلوبونيسية ، وشرح بريكليس في هذه الخطبة وجهات نظره في الديمقراطية الأثينية : فأوضح أنَّ السياسة التي انتهجها خلال فترة عمله في القيادة الحاكمة هي سياسة كان من الطبيعي أن تتبناها مدينة أثينا بحكم موقعها ودورها ومكانتها بين الدويلات الإغريقية ، وهي سياسة نابعة من واقع الشعب الأثيني ، وتعتبر انعكاساً لطبيعته حيث إنَّها مؤسسة على وجهات نظر صائبة في الحياة ، وعلى فلسفة يؤمن بها الأثينيون . ومع ذلك فقد تعرضت سياسة بريكليس سواء في الداخل أم في الخارج لكثير من الهجوم والنقد ، كما اتهم هو نفسه بإفساد الجماهير ، لأنه خصصٌ مكافآت لشاغلي الوظائف العامة في الدولة وللمحلفين نظير حضور جلسات المحاكم . ومما يدل على المعارضة الشديدة التي لقيها بريكليس أن دامونيديس السياسي الفيلسوف قد حوكم ثم نفي من أثينا لأنَّ بريكليس - فيما يظَن - قد استعان به في رسم سياسة أثينا الخارجية . وأياً كان الأمر فقد كان بريكليس أهم شخصية سياسية ظهرت في أثينا مَهْمَا اختلفت حوله الآراء ، كما أنه بلغ أوج شهرته خلال عامي ٤٣١ - ٤٣٠ ق . م . ، أما عام ٤٢٩ ق . م . - وهو العام الذي توفى فيه بريكليس فيعد نقطة تحول كبرى في تاريخ أثينا السياسي والحضاري معاً ؛ ومن المصادفات العجيبة أن يكونَ هذا العام هو نفس العام الذي ولد فيه الفيلسوف أفلاطون .

ولم يكن هدف بريكليس في خطبته من الإشادة بأثينا وإظهار أنَّ لها القدح المعلّي على اسبرطة هو مجرد تملق مشاعر الجماهير أو نيل الحظوة لديهم ، بل كان غرضه الأول هو إقناعهم بأنَّ حياة أرغد وأسمى تنتظرهم إذاما تبنوا السياسة التي أشرفت القيادة السياسية بزعامته على رسمها ثم على انتهاجها . ومن الواضح أن بركليس كان

يعتقد أن الديمقراطية الأثينية يمكن أن تظلُّ مزدهرة لو أنها ظلت داخل نطاق الاعتدال ، ولم تجنح إلى التطرف ، كما أنه دافع عن مبدأ تخصيص مكافآت للقائمين على الوظائف العامة بتوضيح أنَّ كل مواطن أياً كان موقعه مطالب بأن يكرس كل مواهبه وقدراته لصالح الدولة ومن أجلها ، ولابد للدولة بدورها أن تقدم له البرهان الكافي على أنها ترعاه وتهتم بمصالحه .

ويربط بريكليس في خطبته الجنائزية ربطاً وثيقاً بين السياسة والثقافة حرصاً منه على أن يظل رجال السياسة بمنأى عن الغوغائية وعلى أن يتخلص المواطنون من النزعة الانعزالية ومن النظرة الإقليمية الضيقة . ومما يدل على حصافة بريكليس وبعد نظره في هذا الصدد أنه ركز على ضرورة هذا الارتباط الوثيق ، على حين جنح كليون الزعيم الديماجوجي الشهير إلى اعتبار أنَّ أفضل ما يمكن لمواطن أن يتحلى به هو أن يجمع بين نقص المعرفة ἀμαθία والالتزام بالاعتدال وضبط النفس σωφροσύνη . ولقد انحاز أرستوفانيس الكاتب الكوميدي الساخر لوجهة نظر بريكليس بينما هاجم رأي كليون وسخر منه بشدة . ثم يتحدث بريكليس عن ضرورة اهتمام الفرد بقضايا وطنه العامة ، ويفرق في هذا الصدد بين طائفتين من المواطنين يرفض هو موقفهما من هذه القضايا العامة ، فيطلق على المواطن غير المكترث بقضايا الدولة كلمة ἀπράγμων بينما يسمى العزوف عن الاهتمام بالسياسة أصلاً كلمة ἀχρεῖος .

غير أن بريكليس لم يكن يهدف من وراء ذلك إلى مطالبة المواطن بأن يكرس كل وقته من أجل الدولة ، بل إنه يفاخر – على العكس من ذلك – بأنَّ الأثيني الحق هو الذي يخصص حيزاً من وقته ليس بالقليل لشئونه الخاصة ولاهتماماته الأسرية . وفيما يتعلق بصلات أثينا بالدويلات والممالك الأخرى يخبرنا بريكليس بأنَّ أثينا تؤسس صداقاتها مع الآخرين على أساس أنَّ لها اليد العليا في العطاء والعون والإحسان إلى حلفائها وليس العكس ، وهو مبدأ بنت عليه أثينا امبراطوريتها منذ البدء . ثم ينتقل من هذا إلى القول

بأن أثينا لا تضع قيوداً على حركة الأجانب الموجودين على أرضيها ، كما أنها لا تغل من حريتهم في التنقل أو المعرفة أو المشاهدة تحت أي زعم .

ثم يشيد بريكليس بالنظام الديمقراطي الأثيني الذي يحظى فيه كل فرد بحق متساو فيما يخص مصالحه الشخصية ، والذي يختار فيه الفرد للمناصب العادية بناء على مزاياه وفضله وليس بسبب مستواه في المجتمع . ثم يثني على شجاعة الأثينيين وبسالتهم في ميدان القتال وتفوقهم على الاسبرطيين في موطن فخرهم ، رغم أنّ الأثينيين لا يكرسون جلّ وقتهم للتدريبات العسكرية والاستعداد للقتال مثلما يفعل الاسبرطيون . بعد ذلك يوضح أنّ المواطن الأثيني ليس رخواً بسبب حبه للجمال ، وأنّ ما يخجل المرء ليس الفقر بل التقاعس عن الكد والعمل .

وفي الحق أن كل عبارة في هذه الخطبة تزخر بالمعاني الجليلة والمغازي العميقة وتحتاج إلى التأمل واستخلاص المغزى ، وتستوجب المقارنة ، فهي خطبة لا يفتقر المتحدث فيها إلى الثقة بالنفس ولا إلى العمق الفلسفي ولا إلى الخلفية الحضارية ذات الجذور الراسخة .

ومن العسير على مؤرخ دقيق مثل ثوكيديديس صاحب رؤية تاريخية أصيلة أن يجذب الاهتمام أو يمتع القارئ نظراً لصعوبة أسلوبه وجفاف لغته وجنوحه إلى التعبير الفلسفي وتركيزه الشديد الناتج عن رغبته في اعتصار العبارة والتعبير عن حشد من المعاني في أقل عدد ممكن من الكلمات ، واهتمامه كذلك بترك مساحة كافية للقارئ للتخيل وللحكم على الأمور . كما أنه يكتب في تاريخه عن الكيفية التي يمكن أن تصل الأحداث عن طريقها إلى نهايتها ، ومن ثم لم يلجأ إلى الأساليب التي تسود في عصور الاضمحلال ، وهي أساليب ترمي إلى إمتاع القارئ وتتحاشى إزعاجه . من أجل ذلك يحتاج القارئ إلى صبر وأناة لتفهم أسلوب ثوكيديديس وتبين طريقة عرضه والوقوف على نسق ترتيبه للحقائق . وهو يخبرنا بنفسه أنّ هدفه هو معرفة الحقائق الواجبة ثم

الاضطلاع بتفسيرها :

γνῶμαι τὰ δέοντα καὶ ἑρμηνεῦσαι ταῦτα .

لقد وضع ثوكيديديس نصب عينه ألا يمتع بقدر ما يفيد ، وألا يسرد بقدر ما يشرح ويفسر . ولكي نقف على مكانة ثوكيديديس بين كتاب النثر الإغريق لابد أن نذكر أن النثر قد شهد في أثينا خلال الفترة الزمنية القصيرة التي تفصل بين هيرودوت وثوكيديديس تطوراً ملحوظاً وسريعاً تمخض في نهاية الأمر عن ما يعرف باسم " النثر الأتيكي " الذي أصبح أنموذجاً يحتذى في بلاد اليونان كلها . ويرجع جزء كبير من هذا التطوير اللافت للنظر إلى ازدهار الخطابة السياسية πολιτικὸν γένος ῥητορικῆς إذ أدخل بريكليس عادة كتابة الخطبة السياسية وإعدادها إعداداً متقناً قبل إلقائها في الجمعية العامة ؛ وكان بريكليس يهدف من وراء ذلك - كما أوضح ثوكيديديس - إلى أن يضمن التمحيص الواجب والنقاش اللازم لكل قضية قبل أن يجري التصويت عليها من قبل الجماهير في الجمعية العامة . ورغم أننا لا نعرف في الحقيقة مدى إسهام بريكليس في صبغ هذه الخطب السياسية بالصبغة الأدبية ، إلا أنه من الواضح أن الديمقراطية الأثينية قد أدت إلى فورة خلاقة وشرارة مقدسة استطارت نوراً في العقول ، بحيث بات من العسير علينا أن ننسب الفضل في أمر ما إلى شخص بعينه فقط لأن الكلّ يسهم ولا يهتم بأن يتقاضى ثمن الفضل . وعلى أية حال فمما لا شك فيه أن الخطابة السياسية قد غدت في هذا العصر أكثر اقتراباً من الأدب ومن الشعر بموسيقاه وتأثيره عن ذي قبل .

ولقد أفاد ثوكيديديس من هذا الازدهار في مؤلفه التاريخي ، إذ خصص أجزاءً لا بأس بها منه لمثل هذه الخطب السياسية ، وشجعه على هذا الاتجاه أنه كمؤرخ يريد أن يحتفظ ما أمكن بآرائه الخاصة لتبقى في خلفية الأحداث ، تاركاً لقرائه الحكم على الأحداث التاريخية من خلال أقوال صناع القرار من رجال السياسة أنفسهم ،

ومخصصاً المسرح للشخصيات الرئيسية كي تلعب بنفسها الأدوار المنوط بهم فعلها . وتشكل الخطب السياسية بوجه عام ما يقرب من خمس تاريخ ثوكيديديس ، وهو أمرٌ يدل على أهميتها ويشير في الوقت نفسه إلى أنَّ مؤرخنا استخدمها كوثائق تاريخية .

ولقد اتفق كل من ديونيسيوس (الذي عاش في عصر أوغسطس) وهرموجينيس (الذي عاش في عصر ماركوس أوريليوس) على أن ثوكيديديس يجمع بين خاصيتين متناقضتين هما الخشونة في التعبير والسمو في الموسيقى التي تبني بها العبارة ؛ وهاتان الصفتان تنتميان إلى خصائص النثر المبكر كما يتمثل في أعمال كل من أنتيفون وكريتياس ، وينطبق الأمر ذاته على استخدام العبارات التي تتضمن أحكاماً مبنية على الخبرة الذاتية (الاستبطانية) والتي تعرف تحت اسم γνῶμαι ، والتي ترد بكثرة عند ثوكيديديس والتي من شأنها أن تمنح أسلوبه ذلك السمو الذي أشرنا إليه أعلاه .

ومن الصعوبات التي واجهت ثوكيديديس رغبته في إيجاد مفردات تتناسب ومضمون مؤلفه التاريخي ، إذ كان النثر الأتيكي آنذاك في طور طفولته ولم يكن قد تشكل بعد في لغة أدبية عالية المستوى . وكان لزاماً على كتاب النثر أن يقتفوا بشكل أو بآخر خطى جورجياس الذي كان يبذل قصارى جهده في الاستعانة بخصائص الشعر من أجل تعويض جفاف النثر . وفي هذا المقام لجأ ثوكيديديس إلى تطعيم النثر السائد على أيامه بإضافة مفردات كثيرة نهلها من أعمال الشعراء ، ومن كتاب النثر الأيونيين . وهناك فقرات كثيرة في عمله تثبت أنه قد نهل مفردات كثيرة من كتاب التراجيديا ، وأنَّه طور وابتدع كلمات لم تكن مستخدمة من قبل في النثر الأتيكي .

غير أنَّ ما يميز أسلوب ثوكيديديس في الحقيقة - إذا ما ضربنا صفحاً عن الغموض والجفاف - هو قدرته الفائقة على تصوير الأحداث بطريقة درامية ، بحيث يجعلنا ، نحن القراء ، قادرين على تخيلها ، فهو قادر - كما يوضح لنا بلوتارخوس -

على أن يوفر لقارئه كلاً من الحيوية في الوصف والدرامية في التكوين . وثوكيديديس من أكثر الكتاب مهارة في إثارة كل من انفعالي الخوف والشفقة في قلوب قرائه ، وهما الانفعالان اللذان تستخدمهما الدراما بغية التأثير على المشاهدين ، كما أنه بارع للغاية في إخفاء مشاعره الشخصية وعدم إقحامها على السياق ، فظاهر تاريخه بارد كالرخام بينما باطنه يتفجر بالحياة . وكاتبنا يتميز أيضاً بأنه يتيح لكل قارئ بعد أن يعرض عليه الوصف التاريخي أو الخطبة السياسية أن يقوم بنفسه باستخلاص المغزى الذي يريده لنفسه : فعلى سبيل المثال لا الحصر لم يخبرنا ثوكيديديس في كتابه الثاني بعد أن قام بعرض هجوم الطيبيين على بلاتيا برأيه إطلاقاً حول هذه الحادثة التاريخية الهامة .

وكانت طريقة ثوكيديديس الدرامية تدفعه في كثير من الأحيان إلى عرض الحقيقة التاريخية من خلال وجهتي نظر متعارضتين بشأنها – وهذا شائع في خطبه السياسية – وحتى عندما كان من العسير ، استناداً إلى الواقع المادي للأحداث ، أن يواجه أحد المتحدثين منافسه أو معارضه أو أن يناقشه ويفند وجهة نظره وجهاً لوجه ، كان مؤرخنا يجعل أحدهما يجيب على ما يطرح عليه من أسئلة من الآخر ، أو يقوم بتفنيد حججه كما لو كان يقفان كل في مواجهة الآخر . وفي كل الأحوال لم يكن ثوكيديديس ليعلق برأي شخصي أو يعقب بوجهة نظر خاصة ، بل كان يكتفي بالعرض الأمين لكل ما يدور تاركاً لنا أن نحكم بأنفسنا على الوقائع التاريخية من خلال كيفية حدوثها . كان ثوكيديديس إذن حريصاً على ألا ينزلق إلى التصريح بوجهة نظره الشخصية في كل أمر أو إقحامها بغير داع يتطلبه السرد التاريخي للأحداث ، كما كان يضع نصب عينيه دائماً ألا يتنكر لموضوعيته أو يتناسى حياده الذي فرضه على نفسه . فأقصى ما يمكن أن نلمح عنده ضد شخص يكن له الكراهية مثل كليون هو أن يصف تصرفاته التي تنضح بالمداهنة بأنها تصرفات دبلوماسية . ونحن نحس دوماً أن ثوكيديديس جزء لا يتجزأ من مؤلفه التاريخي ، وأنه لا ينفصل عنه ، وأن نبرته لا تعلو خلاله لتعلن عن نفسها ، وأن ذاتيته لا تبدو بحيث تطمس موضوعيته ، وهو نادراً ما يشير إلى نفسه فنتذكر حينئذ فقط وجوده

المنفصل عن عمله . وثوكيديديس لا يستنكف أن يذكر أخطاءه دون مواربة وبغير تبرير ، وطوال سرده التاريخي يندر أن يتخلى عنه حكمه الصائب أو يخفت بريق نظرته اللماحة أو ملاحظاته الفاحصة . وهذا ما عناه لوكيانوس حينما قال عنه إنه يمتلك الحس السياسي الحصيف والقدرة على التفسير :

σύνεσις πολιτικὴ καὶ δύναμις ἑρμηνευτική .

وبوجه عام فإنَّ أسلوب ثوكيديديس يتميز بما نطلق عليه الآن اصطلاحاً السمو أو الشموخ ، وهو ما أسماه الإغريق μεγεθos ، وهو ذات الشموخ الذي نلمحه في أعمال بنداروس أو أيسخيلوس ، وأغلب الظن أنه تأثر إلى حد بعيد كذلك بأسلوب بريكليس في خطبه السياسية . وهناك سؤال يطرح نفسه : هل دوَّن ثوكيديديس الخطب السياسية بنفس أسلوب قائلها دون تصرف أم أنه أعاد كتابتها بعد ذلك لتلائم مكانها من مؤلفه التاريخي ؟ وفي الحقيقة أنَّ الخطب السياسية التي أوردها ثوكيديديس في تاريخه لم تكن هي بذاتها الخطب التي تم إلقاؤها في مختلف المناسبات السياسية ، وذلك نظراً لأنَّ العناصر الأدبية والفلسفية فيها أقوى من العناصر الخطابية . ومن الواضح أيضاً أنها كتبت للقراءة لا للسامعين لأن كل نقطة فيها قد تمت بلورتها بحيث ترتفع إلى مستوى البرهان العقلي والحجة الفلسفية ، وبالتالي تحولت من خطب ريتوريقية ذات تأثير لا يتعدى المناسبة التي تلقى فيها الخطبة إلى خطب فلسفية كتبت لتبقى خالدة ضمن سفر تاريخي جليل تنبأ له مؤلفه بالخلود حينما وصفه بأنه ذخيرة ستبقى إلى الأبد .

κτῆμα ἐὶς αἰεί

« خطبة بريكليس الجنائزية »

« في رثاء شهداء الحروب البيلوبونيسية »

« الكتاب الثاني من تاريخ ثوكيديديس »

« فصل ٣٥ »

١- إن كثيرين ممن تحدثوا قبلي في هذا المقام قد أثنوا على من جعل هذه الخطبة (الجنائزية) جزءاً من طقوس الاحتفال ، حيث إن إلقاءها على أرواح من واريناهم الثرى من شهداء الحروب أمر ينطوي على النبل والعرفان . ومن جانبي فإن لي أن اعتبر أنه يكفي أن نسبغ آيات التشريف والتكريم في حفل على صناديد الرجال الذين برهنت أفعالهم على بسالتهم ، وهو ما تشهدون الآن الاستعدادات وهي تجري له على الملأ في هذا الاحتفال الجنائزي . وذلك حتى لا يصبح إيمان الجماهير بشجاعة هؤلاء الرجال رهن فصاحة المتحدث وبلاغته أو عجزه عن البيان .

٢- ومن الصعوبة بمكان أن يتكلم المرء بغير حماس في مناسبة يصعب عليه فيها أن يستوثق حتى من الأثر الذي يتركه التفوه بالحقيقة : ذلك أنَّ السامع المدرك لحقائق الأمور ، ولم يشبه التحيز سيجد أن (وصف جلائل أعمال الشهداء) مهما بلغ أفقر من أن يعبر عما يعرفه عنهم أو يفي بما يتمناه لهم ، أما غير المدرك لذلك فقد يكون عرضة للاعتقاد بأن (المتحدث) يجنح إلى المبالغة ، لو أنه سمع - وهو خاضع لتأثير الغيرة - (وصفاً) لبطولة تفوق طاقته أو تعلو على قدرته .

٣- وفي الحق أنه يمكن لجمهور السامعين أن يحتمل عناء الإصغاء إلى خطب التأبين التي تم إلقاؤها حتى اللحظة الراهنة إشادة بالآخرين ، شريطة أن يعتقد كل فرد منهم أنَّه بذاته قادر على إنجاز أي (فعل) من الأفعال التي سمع (الإشادة) بها . لكن الغيرة ما تلبث أن تدب في قلوب هؤلاء السامعين فينتابهم الشك ويميلون

إلى تكذيب من يجنح إلى المبالغة أو يتخطى الحدود الواجبة (لخطب التأبين) . ولكن حيث إن أسلافنا منذ القدم قد عدوا هذه (الخطبة) من العادات المحمودة فإنه يتعين عليَّ أن أمتثل لتلك السنة ، وأن أبذل قصارى جهدي لتحقيق رجاء كل فرد منكم وتلبية رغبته .

« فصل ٣٦ »

١- وقبل كل شئ سوف أبدأ بأسلافنا : ذلك أنه حق لهم وواجب علينا في الوقت نفسه نحوهم – في مناسبة كهذه – أن نسبغ عليهم آيات التكريم ومظاهر التشريف تخليداً لذكراهم . فلقد اتخذوا هنا البلد دوماً موطناً لسكناهم ، وبفضل شجاعتهم على مر الأجيال وتعاقب السنين حتى الوقت الحاضر سلّموه إلينا حراً أبياً .

٢- وإذا كان (أسلافنا) جديرين بالثناء فإن آباءنا لأكثر استحقاقاً له ، لأنهم إضافة إلى ما آل لحوزتهم من (الأسلاف) أورثونا هذه الامبراطورية الشاسعة التي نملكها الآن ، والتي لم يستحوذوا عليها إلاّ بعد مشقة بالغة وكفاح طويل .

٣- والآن فيما يتعلق بما هو منوط بنا إنجازه فإننا ، نحن الذين نقف ها هنا ، ومعظمنا ما زال في شرخ الشباب وعنفوان القوة ، قد استطعنا أن نوسع رقعة (امبراطوريتنا) ، وأن نجعل مدينتنا في جميع الأحوال قادرة تماماً على كفاية نفسها بذاتها سواء في وقت الحرب أو إبان السلم .

٤- أما عن مآثر (أجدادنا) في الحروب والتي تمَّ عن طريقها اكتساب كل رقعة من أرجاء (الامبراطورية) ، وكذا عن إنجازاتهم التي تمكنَّا بفضلها ، نحن أو آباؤنا ، من حماية (امبراطوريتنا) بحماس منقطع النظير من الغزاة – أجانب أو إغريق على حدٍ سواء – فلن أطلق العنان لنفسي في الحديث عنها بإسهاب ، لأنكم تعلمون قصة ذلك حق العلم .

٥- لكن قبل أن أمضي قدماً في الإشادة بمن قضوا نحبهم أجد لزاماً عليَّ أن أشرع في تفسير المبادئ التي ندين لها بمكانتها هذه ، وأن أوضح فوق أي نظام سياسي أسسنا عظمتنا ، وبمقتضى آية طريقة من طرائق الحياة تمكنا من الظفر بها .

٦- فمثل هذه الأقوال ملائمة في نظري كل الملاءمة للمناسبة الراهنة ، كما أنها مجدية كل الجدوى عندما تلقى أمام هذا الحشد الغفير من مواطنين وأجانب يصغون إليها بعناية واهتمام .

« فصل ٣٧ »

١- إننا نعيش في ظل دستور تقصر شرائع جيراننا عن منافسته ، لأن نبراسنا هو (استلهام) واقعنا وليس تقليد قوانين الآخرين ، ولأن حكومتنا التي تتركز السلطة فيها في أيدي الكثرة لا في يد القلة تعرف باسم « الديمقراطية » . ووفقاً لقوانيننا فإن لكل فرد منا نصيب يحظى بمقتضاه بحق متساو في الحفاظ على منافعه الشخصية ، في الوقت الذي يمكن فيه لكل فرد بارز في ميدانه أن يختار للمناصب العامة بناء على مزاياه وفضله ، بغض النظر عن مستواه في المجتمع أياً كان هذا المستوى : فالفقر لا يمنع فرداً من إفادة وطنه مهما كان مغموراً رقيق الحال .

٢- ونحن نحيا في حرية سواء في أمور حياتنا اليومية أو في شئون حياتنا العامة . وفي نطاق الاهتمامات التي تشغل حياتنا اليومية قد يحس الفرد منا أحياناً بالغيرة أو الارتياب من أقرانه ، لكننا قطعاً لا ننظر بعين الغيظ إلى جارنا إذا ما سلك في حياته المسلك الذي يرتضيه لنفسه . كما أننا لا نتخذ لأنفسنا سمت الساخرين المستهزئين أو ندع ذلك ينعكس على ملامحنا ؛ فرغم أن مثل هذه التعبيرات لا تنطوي على الضر والأذى إلا أنها تبعث على الاستياء .

٣- وأياً كان الأمر فبرغم هذا التساهل في أمور حياتنا الخاصة إلاَّ أننا حريصون أشد

الحرص على كبح جماح أنفسنا في التصرفات التي تمس شئون حياتنا العامة : فنحن نبدي التوقير ونلتزم بالطاعة نحو من يشغلون منّا المناصب العامة ، ونبدي ذات الاحترام للقوانين ، خاصة ما يهدف منها إلى إسباغ الحماية على المظلومين ، وكذا للقوانين غير المدونة التي يعتبر انتهاكها تصرفاً يجلب الخزي والعار .

« فصل ٣٨ »

١- وعلاوة على ذلك فقد أفلحنا في أن نضمن لأرواحنا ونحصل لعقولنا على فترات من الكثرة بمكان سواء من الاسترخاء أو الراحة من العناء : وذلك عن طريق إقامة الاحتفالات وإحياء المهرجانات التي نقدم فيها الأضاحي طوال العام ، وعن طريق أناقة منازلنا وتنسيق أثاثها . وإن البهجة التي نجدها كل يوم في هذه المظاهر لكفيلة بطرد الهم وإبعاد الحزن عن حياتنا .

٢- وبسبب عظمة بلادنا فإن كل ما ينتجه العالم من منتجات يُجلب إلى (دولتنا) ، مما ترتب عليه أن خيرات الأقطار الأخرى قد غدت كلها بالفعل خيراتنا ، لتنعم بها في أوطاننا سواء بسواء كالخيرات التي تنتجها بلادنا ولا نعدها غريبة علينا .

« فصل ٣٩ »

١- كما أننا مختلفون في ميادين شتى عن أعدائنا جد الاختلاف ، وبوجه خاص في التدريبات العسكرية والاستعداد للحرب : " فمدينتنا مفتوحة بإرادتنا للجميع ، ونحن لا نقصي عنها الأجانب ولا نمنع أحداً منهم في أي وقت من معرفة أي أمر أو رؤيته ، (لأن جميع ما في بلدنا) واضح جلي للعيان ، حتى لو أدى هذا إلى أن يطلع أحد أعدائنا على ما يمكن أن يعتبر بالنسبة له أمراً ذا قيمة أو فائدة . فالواقع أننا نعول في كل أعمالنا على بسالتنا أكثر من اعتمادنا على خطط الحرب والخداع . وفي مجال تربية النشء فإن الشبان (من أعدائنا) يتلقون منذ

نعومة أظفارهم تدريباً شاقاً عنيفاً بهدف اكتساب الشجاعة ومضاء العزيمة ، أما نحن فقادرون رغم أن حياتنا غير مكبلة بالقيود على تحمل أخطار تعادل ولا تقل بحال من الأحوال عن تلك التي يجابهونها .

٢- دليل ذلك أن الاسبرطيين لا يجسرون على غزو بلادنا وحدهم بل (يهاجموننا) مصحوبين بكل حلفائهم ، أما نحن فنهاجم أراضي البلدان المجاورة لنا بمفردنا . ورغم أننا نقاتل على (تراب) أجنبي وضد قوم يذودون (بأرواحهم) عن ديارهم ، إلا أننا نكتسح الشطر الأكبر من جحافلهم بغير مشقة تذكر .

٣- وحتى الآن لم يجابه عدونا في ميدان القتال قوتنا مجتمعة ، وسبب ذلك أننا نرسل جنودنا براً إلى جبهات كثيرة في ذات الوقت الذي نبعث فيه بأساطيلنا (بحراً) لخوض غمار الحرب . ومع ذلك فإن أعداءنا حينما يتصدون لشطر غير كبير من جيشنا ويقدر لهم الانتصار عليه يباهون بأنهم شتتوا شملنا جميعاً ، وعندما يلاقون الهزيمة على أيدي حفنة منا يزعمون أنهم دحروا من جحافل جيشنا بأسره .

٤- ولا ريب أنه إذا كان هدفنا هو مواجهة الخطر بقلب ثابت جسور أكثر من مجابهته بالتدريب الشاق العنيف ، وبما أثِرَ عنا من بسالة لا بالتسلح بقوانين الشجاعة الصماء أو أساليب الطاعة العمياء ، فنحن الرابحون حقاً : ذلك أننا لا نستسلم للهم والحزن قبل الأوان ، ولا نتعجل المتاعب قبل وقوعها بزمان . لكن إذا ما قُدِّر علينا أن نقابل هذه المتاعب وجهاً لوجه فإننا نبدي من الشجاعة نفس القدر الذي يبديه اولئك الذين ظلُّوا دوماً يتدربون من أجلها ويستعدون . غير أن هذا ليس هو الميدان الوحيد الذي استحقت من أجله دولتنا الإعجاب ، فثمة ميادين أخرى تجعلها خليقة بهذا الإعجاب .

« فصل ٤٠ »

١- فنحن نعشق الجمال في بساطة ونحب المعرفة بغير ليونة أو طراوة . كما أننا نتخذ الثروة وسيلة للعمل في الحياة لا موضوعاً للتفاخر والمباهاة ؛ وليس مما يُخجل المرء عندنا أن يُصرح بفقره ، لكن الخجل كل الخجل أن يتقاعس المرء عن طرد شبح الفاقة والمسغبة بالكد والعمل .

٢- وإذا كانت أمور معيشتنا الخاصة تستهلك من وقتنا الكثير فنحن لا نهمل مع ذلك شئون السياسة بحال من الأحوال : فرغم أننا حريصون على تلبية مختلف الاهتمامات وتحقيق كافة الرغبات إلاّ أن معرفتنا بشئون حياتنا العامة وافية . ونحن وحدنا الذين نعتبر من يضرب صفحاً عن المشاركة في هذه الشئون (العامة) شخصاً بلا فائدة تُرجى أو قيمة تذكر ، لا مجرد إنسان عزوف عن الاهتمام . ونحن على الأقل نتميز بسلامة أحكامنا وصحة وجهات نظرنا حينما لا يكون بوسعنا أن نتوصل إلى آراء سياسية جديدة . كما أننا لا نعتبر النقاش أمراً يعوق تنفيذ الفعل ، فما يعوق هو بالأحرى نقص الدراية وانعدام وضوح الرؤية قبل اتخاذ التصرف اللازم بوقت كاف .

٣- وفي الحق فإن الميزة التي نحظى بها على وجه الخصوص هي أننا لا نقل جسارة عن سائر الأقوام رغم أننا نفكر ملياً قبل أية خطوة نقدم عليها ، مع أن الجهل بالنسبة لسوانا سبب للجسارة والاستغراق في التفكير والتأمل دافع إلى التردد والإحجام . ولا جدال في أن اولئك الذين يمكن اعتبارهم عن حق الأشجع روحاً هم من يدركون بجلاء بلايا (الحروب) وويلاتها ، ونعم (السلام) ومزاياه ، وهم الذين لا يحجمون بسبب ذلك عن مواجهة الأخطار .

٤- وفي الفضل أيضاً نحن جد مختلفين عن الآخرين : فنحن نكتسب أصدقاءنا بحسن صنيعنا لهم لا بحسن صنيعهم لنا . ومن يسدي الجميل هو دوماً الصديق الأوفى ،

لأنه يشعر بالامتنان نحو الشخص الذي صنع هو فيه المعروف بنفسٍ سَمْحَةٍ راضية ؛ في حين أن من نال الفضل وتلقى الجميل يكون في العادة أميل لعدم الاكتراث ، لأنه يعلم أن ردَّ حسن الصنيع من جانبه ليس اختيارياً بغير مقابل بل واجب والتزام .

٥- ونحن وحدنا الذين نمد يد العون لغيرنا بصرف النظر عن أية اعتبارات تمس مصالحنا اعتماداً منا على الثقة التي نلتزم بها صراحة تجاه مؤسساتنا الحرة .

« فصل ٤١ »

١- وفي الإجمال فإن مرادي هو القول بأن مدينتنا بأسرها أنموذج تتعلم منه بلاد اليونان ، وأن كل مواطن بين ظهرانينا قادر فيما يلوح لي على تطويع نفسه عن رضاً وطيب خاطر لمعظم المتغيرات (في مجتمعه) بكل ما يملك من حصافة رأي وكياسة .

٢- وليس في قولي هذا نوعاً من التفاخر أو المباهاة بمناسبة هذا الاحتفال بل الأحرى أنه حقيقة مؤكدة ، وبرهاني على ذلك مستمد مما اكتسبناه لوطننا من قوة ومنعة بفضل هذه الخصال ذاتها .

٣- فمدينتنا - من بين كل المدن القائمة في عصرنا هذا - إذا ما تعرضت للاختبار ، فهي وحدها التي تستطيع أن تثبت أن حقيقتها أعظم من شهرتها . وهي وحدها التي لا تتيح لعدوها مبرراً للشكوى من الإحساس (بالخزي) بسبب أنه مُنِيَ بالهزيمة على يد قوم (خاملي الذكر) . كما أنها وحدها التي لا تمنح شعبها سبباً يلوم به نفسه لأنه يرزح تحت حكم من هم أقل منه استحقاقاً أو أدنى جدارة .

٤- إن الدليل على عظمتنا جليٌّ واضح لا يحتاج إثباته إلى مزيد من الشهود : فلسوف نصبح أعجوبة هذا العصر وأعجوبة الأجيال التالية . ولسنا بمفتقرين إلى إشادة

بنا أو ثناء علينا سواء من « هوميروس » أو من قبل أي شاعر آخر ، قد يثلج شعره صدور الناس برهة من الزمن ما تلبث بعدها الحقيقة أن تتجلى سافرة فتفسد انطباع الناس عن الواقع . فلقد أجبرنا كل أرض وألزمنا كل بحر قسراً أن يصبح امتداداً (لامبراطوريتنا) الجسورة ، وليس هناك مكان يخلو من آثار أفعالنا الخالدة أو من مواقفنا الباسلة .

٥- هذه هي المدينة التي سعى هؤلاء الرجال جاهدين من أجل ألا يحرموا من شرف الانتساب إليها ، والتي ذاقوا في سبيلها كأس الحمام ، وهم يخوضون غمار الحرب في ساحة النزال ، والتي يتعين على كل من بقي منهم على قيد الحياة أن يبذل من أجلها طائعاً كل مُرْتَخَصٍ وغالٍ .

« فصل ٤٢ »

١- فإن كنت حتى الآن قد تحدثت باستفاضة وإسهاب عن شئون دولتنا فمرامي هو أن أبين بجلاء أن لدينا هدفاً نناضل من أجله ، وهو هدف أسمى وأبعد ما يكون عن منال هؤلاء الذين لا يتمتعون بما نحظى به من ميزات . وغايتي في الوقت نفسه هي أن أعرض الأسباب والحيثيات التي تثبت أن إشادتي هنا بهؤلاء الشهداء كانت أمراً له ما يبرره .

٢- وفي الحق أن ما قلته الآن هو أعظم ثناء عليهم : إذ أنهم أضافوا بأفعالهم الباسلة رونقاً وبهاء على تلك الأمجاد التي أشدت بها آنفاً . وفي الحق أيضاً أن اولئك الذين يمكن التدليل على أن شهرتهم معادلة لواقع أفعالهم هم قلة من الإغريق لا كثرة منهم . وفي ظني أن نهايتهم الفاجعة سواء حانت وهم في ريعان الشباب أو عند دنو الأجل وختام العمر هي الدليل الناصع على شجاعة الرجال .

٣- وحتى لو كان هؤلاء الرجال قد أسرفوا على أنفسهم فاقترفوا كثيراً من الآثام ، فمن

العدل أن توضع البسالة التي أبدوها في سبيل وطنهم فوق كل اعتبار آخر : فالحسنات يذهبن السيئات ، كما أن الخدمات التي أدوها للصالح العام من شأنها أن تكفِّر عما بدر منهم من آثام ، وأن تمحو كل أثر (لما قد يوجد في) تصرفاتهم الشخصية (من أخطاء جسام) .

٤- فليس هناك واحد من هؤلاء الشهداء قد أرقته الرغبة أو أوهنه الطموح في أن يستأثر أو ينعم بثراء لا ينضب له معين ، لا ولم يجفل واحد منهم من الخطر الذي قد يحدق به ويبدد آماله فيما لو تبدلت حياته يوماً من الغنى واليسر إلى المسغبة والفقر . ذلك أنهم أيقنوا أنَّ الثأر من عدوهم غاية يتوقون لنيلها أكثر من رغبتهم في الاستحواذ على متع بعينها ، وآمنوا أن هذه هي أنبل الغايات وأشرف المقاصد ، وأنَّ سبيل تحقيقها رهن بأمر واحد لا سواه هو الانتقام من الأعداء قبل الانغماس في المتع والملذات .

٥- لقد تركوا أمر نجاح مسعاهم في مستقبل الأيام - وهو مصير من الصعب التكهن به - تركوه للأماني والآمال ، لكنهم فيما يتعلق بواقع حياتهم الراهن اعتزموا الاعتماد على النفس وحدها دون سواها . وفي سبيل تنفيذ هذا الذي اعتزموه اعتقدوا أن الأشرف لهم أن يصمدوا وأن يقاوموا مهما تكبدوا من خسائر ، لا أن يستسلموا بغية إنقاذ حياتهم أو النجاة بأرواحهم . إن ما كانوا يفرون منه فراراً هو الخزي وسوء السمعة ، لكنهم في ساحة الوغى صمدوا في مواقعهم ؛ وما أن أزفت الآزفة وحانت اللحظة التي خطتها يد القدر لهم ، رحلوا عن الحياة ، لا عن خوف ورهبة من النزال ، بل في ذروة المجد وبشجاعة الرجال .

« فصل ٤٣ »

١- هكذا قضوا نحبهم وكان استشهادهم إنجازاً يليق بعظمة وطنهم . أمَّا نحن الذين كُتبت لنا الحياة من بعدهم - مع أن الواجب يفرض علينا أن نبتهل للأرباب من

أجل حياة أكثر أمناً وأقل خطراً – فعلينا أن نوطن العزم على قتال أعدائنا ببسالة لا تقل بحال من الأحوال عن بسالتهم . وإني لأربأ بكم أن يكون حكمكم على الفائدة المرجوة مستمداً فقط مما سمعتموه مني من كلمات : فأي نفع يمكن أن يرجى حقاً من الإسهاب في مثل هذا الحديث إن كانت كلماتي عن أمر تعلمونه حق العلم ؟ ولماذا يتعين عليَّ أن أعدد مزايا التصدي للأعداء رغم أنها جلية واضحة للعيان ؟ إني أهيب بكم أن تمعنوا النظر في عظمة مدينتنا التي تزداد يوماً بعد يوم ، وأن تتعلموا كيف تحبونها ، بل كيف تصبحون لها من العاشقين . وعندما تتبدى أمام أعينكم بكل أمجادها تذكروا أن المنعة التي تحققت لها والسيادة التي حظيت بها كانت على أيدي رجال أوضحوا بشجاعة منقطعة النظير أنهم يعرفون واجبهم حق المعرفة ، وأنهم إذا ما حانت ساعة النزال يدركون معنى الشرف عن بصيرة . ولو قدر عليهم أن يفشلوا في تحقيق هدفهم أو بلوغ مأربهم فهم لا يدعون وطنهم يخسر بسبب هذا إقدامهم أو يحرم من بسالتهم ، بل إنهم يمنحون له هذا عن طيب خاطر ويقدمونه له كأعظم عطاء يمكن التقرب به إليه .

٢– فهم إذ يبذلون أرواحهم من أجل الصالح العام فإنما يحوزون لأنفسهم مجداً لا يشيخ أبداً . ألا إن أشرف القبور طرًّا ليس ذلك القبر الذي توارى فيه أجسادهم ، بل هو الذي تبقى فيه خالدة على الدوام أمجادهم ، كي يتذكرها الناس في كل مناسبة مماثلة سواء بالقول أو بالفعل .

٣– فالأرض بأسرها هي المثوى لمشاهير الرجال ، حيث إن مآثرهم لا تسجل في وطنهم فحسب نقشاً على الأحجار ، بل إن صيتهم ليذيع أيضاً في سائر الأقطار ، حيث تبقى ذكراهم حية في قلوب الرجال بغير أن تنقش فوق جدار أو تدون على أحجار .

٤– فليكن (هؤلاء الشهداء) إذن أنموذجاً لكم ومثلاً تحتذونه في حياتكم ، وتأكدوا أن

السعادة تنبع من الحرية ، وأن الحرية تكمن في الشجاعة : فلا تلقوا بالاً لأخطار الحرب أو تهابوا أهوال القتال .

٥- فالتعساء الذين خرّوا حتى الأذقان في تعاسة لا أمل في الخلاص منها يتعذر عليهم أن يبذلوا أرواحهم وهم راضون مغتبطون ، إنما يبذل النفس راضياً ويجود بالروح طائعاً اولئك الذين يُحسون بهول الفارق وجسامته لو أنهم باؤوا بالفشل أو ذهبت مساعيهم أدراج الرياح .

٦- وفي الحق أن الإذلال والامتهان الناتجين عن الجبن والعار لأشد قسوة على نفس الإنسان الأبي وأشد إيلاماً لمشاعره من الموت الذي لا يشعر بألمه فيما لو حل به : إذ أن البسالة تلهب مشاعره (فتصرف عنه هذا الألم) خاصة عندما يشاركه حماسه الرفاق من بني وطنه والأتراب من بني جلدته .

« فصل ٤٤ »

١- هذا هو السبب الذي من أجله لا أشعر بالأسى على من فقدوا من بين الحاضرين فلذات أكبادهم ، بل إنني بدلاً من ذلك أعزيهم في محنتهم وأواسيهم في مصابهم . ذلك أنكم تعلمون في غمرة ما أنتم فيه من مصاب جلل وكرب عظيم أن الحظ السعيد سيكون من نصيب من يحظى بحزن نبيل كحزنكم ، أو ذلك الذي يلاقي موتاً مشرفاً كموتهم ، وأن السعادة (الحقة) هي لمن تعادلت خلال سنوات عمرهم كفة الهناء مع كفة الشقاء .

٢- ورغم ذلك فإنني أعلم حق العلم أن من الصعوبة بمكان ألا يُحس الإنسان باللهفة والحنين إلى هؤلاء الراحلين ، خاصة وأنه سوف تذكركم بهم دوماً حظوظ ينعم بها الآخرون في حياتهم ونعمتم أنتم بها من قبل : فالمرء لا يأسى على غياب نعم حرم منها قبل أن يحظى بها ويدرك قيمتها ، بل على النعم التي فقدها بعد أن عاش أمداً طويلاً يرفل فيها .

٣- وأياً كان الأمر فإن عليكم أن تتجلدوا وتتلونوا بالصبر ، فهناك لدى البعض منكم ممن يمتد أمامه العمر ، ولا تنقصه القدرة على إنجاب الأطفال أمل في أن يحظى بأبناء آخرين . كما أن الأبناء الذين سيولدون في بيوتكم سوف يكونون عوناً لكم على نسيان خسارتكم في أبنائكم الراحلين ، وبذلك سوف تكسب المدينة كسباً مضاعفاً : فهي لن تعدم الرجال وستضمن في الوقت نفسه أمنها . وإن أي فعل يقدم عليه المواطن لن يصبح في واقع الأمر تصرفاً سياسياً مخلصاً لدولتنا الديمقراطية أو لمبادئنا العادلة ما لم يكن لهذا المواطن ، بمثل ما هو للآخرين ، أبناء يبذلون من أجل الوطن كل مرتخص وغال .

٤- أما أنتم ، يا من تخطيتم في أعماركم مرحلة الكهولة ، فإن لكم أن تعتبروا أنكم قد حظيتم بنعمة سابغة وفضل غامر : إذ عشتم الشطر الأكبر من أعماركم في عز وفخار . وتذكروا أن ما بقي أمامكم من عمر تعيشونه لا يعدو سوى سنوات قليلة ، فالتمسوا السلوى لأنفسكم فيما حظي به أبناؤكم الراحلون من ذيوع صيت وشهرة طبقت الآفاق . فحب الشرف هو وحده الذي لا يهرم في الحياة ولا يشيخ ، وعندما تضعف قوة أجسامنا وتوهنها الشيخوخة فليس المال - كما يذهب البعض في قولهم - هو الذي يحقق السعادة أو يجلب المتعة بل الشرف .

« فصل ٤٥ »

١- وأنتم ، يا أبناء الشهداء أو إخوتهم ، أمامكم كما أرى مهمة شاقة للغاية : إذ يصعب وجود معيار يمكن الحكم به عليكم بالقياس إلى إنجازاتهم الخارقة ، وليس من المعتاد أن يتيسر لكل فرد منكم أن يصل بثنائه عليهم إلى المستوى الذي يعادل (سمو) قدرهم ، بل إنه ليهبط في ثنائه إلى ما دون ذلك بقليل . ذلك أن مشاعر الغيرة تستبد بقلوب البشر (حقداً) على منافسيهم طالما هم على قيد الحياة ، لكن عندما يزيح الموت هؤلاء المنافسين من الطريق فإن الاحتفال بتكريمهم يلقى القبول

من الكافة ويحظى بالرغبة الطيبة من الجميع .

٢- وإن كان لي أن أوجهُ كلمة لهؤلاء النساء اللائي سوف يعشن حياة الترمل عن فضائل المرأة فإنني أجعل كلمتي هذه في صورة نصيحة موجزة : ذلك أنه لفخار وشرف لكن لو تعلمن عظيم لو أنكن التزمتن بالخصال التي تميز طبيعتكن وتتفق مع جنسكن النسوي ، فحرصتن على ألا يتحدث أحد عنكن قدر الإمكان إلا بالقليل النادر سواء مدحاً أو قدحاً .

« فصل ٤٦ »

١- ها قد أديت واجبي فتحدثت بما أمكنني قوله وبما يتناسب مع جلال الحفل ووقاره . وها هو قسط من آيات التكريم قد تم بالفعل إسداؤه الآن في هذا الحفل الجنائزي على أرواح شهدائنا . أما فيما يتعلق بما بقي لهم من مظاهر التشريف فإن الدولة سوف تضع على كاهلها عبء تربية أطفالهم وتضطلع بتعليمهم على نفقتها ، ابتداء من هذه اللحظة وحتى بلوغهم شرخ الشباب . فهذا هو التاج المرموق الذي تمنحه المدينة لهؤلاء الشهداء ولذريتهم من بعدهم ، جزاءً وفاقاً على ما قدموه لها من انتصارات . وكلما كانت جائزة البسالة أعظم كلما كان إخلاص المواطن لوطنه أقوى وأشد .

٢- والآن .. حالما تفرغون من إبداء مشاعر الحزن المستحقة على ذويكم ومن ذرف الدموع عليهم ، فإن لكم أن تقفلوا عائدين أدراجكم إلى منازلكم .